الأمانة في نظريات الترجمة القديمة والحديثة

د.محمد رحيمي خويگاني
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أصفهان
Email: M.rahimi@fgn.ui.ac.ir.

(خلاصة البحث)
مما لاشك أن الأمانة الترجمية من أهم ما يندرج في حقل دراسات الترجمة، وبما أَن هذه الأهمية تهدف هذه الورقات البحثية إلى سلط الضوء على الآراء المقدمة في الأمانة سواء في الغرب أَم الشرق راجيةً توضيح مكانتها عند منظّري الترجمة والمترجمين.
يبيّن أهم نتائج هذه الدراسة التي انتهجت المنهج التحليلي ـ الوصفي، أن مفهوم الأمانة يختلف عند دارسي الترجمة فالبعض يوصون المترجمين برعاية الأمانة في اللفظ والبعض يفضّلون النقل الأمين لمفاهيم النص الأصلي، كما نرى الفئة الأخيرة يذهبون إلى إهمال اللفظ والمعنى ـ فدرجة الإهمال تختلف عندهم ـ بسبب اهتمامهم بمخاطب النص الهدف، الأمر الذي نراه أكثر قرابة مع مصاديق الترجمة العينية منذ العصور الماضية حتى الآن.
الكلمات الدليلة:الترجمة، المترجم، الأمانة، النص الأصلي، النص الهدف، التصرف

١ـمقدمة
اعْتَاد كل من يمارس الترجمة الأدبية ـ سواء في مجال التعليم أَم في مجال التطبيق ـ على رعاية أصول تقليدية مهمة كرّرها من سبقونا في ممارسة الترجمة بشكل عام، والترجمة الأدبية على وجه خاص. فمثلا سمعنا كلّنا بمفهوم الأمانة وأهيمتها في عملية الترجمة وتعلّمنا أن نراعيها في ترجماتنا الأدبية أو غير الأدبية ودائما يحذّرنا أساتذتنا في صفوف الترجمةعن تقديم الترجمة غير الوفية، ولكن ثمة تساؤل بسيط يرواغ كاتب هذه السطور وهو: «الأمانة بمن أو بما؟»؛ دفعنى هذا السؤال المهمة إلى قراءة مجددة لتعاريف الأمانة الترجمية والآراء فيها، مما يوصلني إلى كتابة هذه المقالة.
يهدف هذا البحث إليدراسة ما قاله القدماء ـ سواء كلا من الفرس أوالعرب والغربيين ـ والمعاصرون في مسألة الأمانة ويبيّن كيف أن هذا الأصل الترجمي كان ولا يزال من أهم ما يمكن دراسته في نظريات الترجمة مع أنها عولجت أكثر من مرّة ودرسها الباحثون المختلفون.

ارتأى البحث لو يسلط الضوء على ما قاله قدماء المسلمين في الأمانة الترجمية تصريحا أو تلويحا حتى يقدم صورة واضحة عن رؤيتهم تجاه هذا الأصل الترجمي المهم الناظر في المسائل النظرية للترجمة يرى أن مفهوم الأمانة في التراث الترجمي يتغير بتغير نوعية النص المبدأ، إذ إن الأمانة في الترجمة الأدبية شيء وفي الترجمة العلمية شيء آخر.
تأسّس البحث الحاضر على أن الأمانة مفهوم سيّال تتغير مصاديقه بتغيير الآراء والتلقيات ويرجو لو يجيب على هذه الأسئلة:

- هل كان للقدماء المسلمين آراء في الأمانة الترجمية ؟
- ما المراد من الأمانة في ترجمة القرآن؟
- هل يختلف مفهوم الأمانة في ترجمة الشعر والنثر، وكيف؟

فيما يخصُّ بسابقة البحث عل أن أشير إلى بعض دراسات على الشكل التالي:
– مقالة «أمانة الترجمة بين النظرية والتطبيق، آراء ومفاهيم،» للكاتب الجزائري عبد الكريم قطاف تمام، المطبوعة في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٧، ص ١-٢٠. يعالج الكاتب مفهوم الأمانة عند علماء الترجمة المعاصرين الغربيين بنوع من الاختصار ويوضّح أسباب أهمية الأمانة عندهم.
– مقالة «إطلالة جديدة على مفهوم الأمانة في الترجمة» للكاتبين عباس عرب وأنور بنام، المطبوعة في مجلة اللغة العربية وآدابها، پرديس قم التابعة لجامعة طهران، الرقم ١٣، صص ٥٥-٧٦. يتناول الكاتبان مسألة الأمانة عند القائلين بنظرية التكافؤ ويعتقدون بأن رعاية الأمانة لا تنحصر بجوانب لغوية بل تجتازها إلى جوانب ثقافية وفنية أيضا.
أما الدراسة الحالية فتتماز بمعالجة آراء المنظّرين والمترجمين معا ساعية الى توضيح مفهوم الأمانة عند كل مجموعة علمية و موازنتها معا وتبيين المسار الذي اجتازه هذا المفهوم. فضلاً عن أن الدراسة تبحث عن أسباب عدم تطبيقية الأمانة ومشاكل حالت دون المترجم أن يراعيها.

٢- الأمانة عند قدماء المسلمين

يكاد لايختلف الاثنان في أن الأمانة من أهم أركان كل عملية ترجمية بعبارة أخرى أنه يجب على كل ترجمة توفّر هذا العنصر الرئيس الأساسي الذي لايقلّ دوره عن الإلمام باللغتين المنقول منها وإليها في ركنيّتها وأساسيّتها.
إن جميع من يتكلمون عن مفهوم الأمانة يركزون على أهميتها في عملية الترجمة سواء الترجمة الأدبية أم غيرها ولكن ما يثير الجدل هو تأثر هذا العنصر بأشياء تتعلق بقضايا على هامش عملية الترجمة ولكنها تسرّبت في

النصوص المترجمة وفرضت حضورها فيها من دون إذن من المترجم أو المؤلف.

بعد أن نبحث عن آراء المنظرين القدماء سواء كلا من العرب أم الفرس في الترجمة يتمظهر لنا أن مسألة الأمانة عندهم تلتصق بنوعية النص الى حد بعيد، بعبارة أخرى تتغير بتغير نوع النص فإذا كان النص المبدأ علميا فالأمانة مفهوم يختلف عما لو كان النص أدبيا أو مقدسا، فلننظر الى تلك النظرات بنوع من التفصيل.

٢-١ الأمانة في ترجمة النصوص العلمية

إذا تأملنا النصوص القديمة المأثورة من العصور الإسلامية نجد نظرات قيمة صريحة أو غير صريحة تتناول مسألة الأمانة في ترجمة النصوص الحكمية والعلمية التي كانت رائجة آنذاك أعني في العصر العباسي المزدهر .

فلنبدأ بالجاحظ (١٦٣-٢٥٥ق) إذ أشار إلى الأمانة واحتسبها من ضروريات الترجمة وإشكالياتها: «إنّ التّرجمان لا يؤدّي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه ودقائق اختصاراته، وخفيّات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدّي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجريّ، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقّها وصدقها، إلّا أن يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها، ومثل مؤلّف الكتاب وواضعه[١].

يشير الجاحظ إلى أن «أداء الأمانة في عملية الترجمة» لا يتمّ إلا بعد أن كان المترجم عالما بمعاني النص المبدأ وكيفية استعمال ألفاظها ودقائقها، بعبارة أخرى إذا كان المترجم عالما بمعاني النص المبدأ ودقائق ألفاظها، فبإمكانه أن يترجم النص بالأمانة والدقة.

أما إذا نظرنا في حياة وأقوال المترجمين المحترفين في العصور الغابرة كـ«حنين بن إسحاق» (المتوفّى ٢٩٥هـ) و«ابن بطريق (المتوفى٦٠٠هـ)»، فلا نجد شيئا ذي بال عن نظريات ترجمية ولكنهما كانا صاحبي مدرستين كبيرتين في الترجمة تعرّف عليهما القدماء؛ يقول صلاح الدين أَيبك الصفدي مفصحا عن هاتين المدرستين: «هناك منهجان لدى المترجمين، المنهج الأول ليحيى بن بطريق، وابن نعيمة الحمصي والآخرين، كان المترجم يهتمّ بكلّ كلمة يونانية ودلالتها، من ثم يقدّم الكلمة العربية المقابلة لها بالمعنى ويترجمها، من ثم يأخذ كلمة أخرى وهكذا تنتهي الترجمة. وتعد هذه الترجمة رديئة لسببين: ذلك أن الكلمات اليونانية ليس لها كلها مقابل بالعربية وهكذا تبقى عدّة كلمات يونانية كما هي في مثل هذا النوع من الترجمة. ولأن نحو الجمل وبنيتها في لغة ما لا يتطابق دوماً مع ما هو قائم في لغة أخرى. أضف إلى ذلك أنّ استعمال

الاستعارة يؤدي إلى معان عكسية، والاستعارات كثيرة في جميع اللغات.
المنهج الثاني: نحو العربية، هو الذي طبّقه حنين بن إسحاق والجوهري وآخرون. إذا كانوا يقومون بقراءة الجملة وفهمها، ثم يترجم المترجم بجملة مطابقة سواء تطابقت الكلمات أم لم تتطابق. وهذا المنهج أفضل»[٢] يمكننا الاستنتاج من تقسيم الصفدي أنه كان هناك منهجان في الأمانة المنهج الأول يرى أن أخذ البنية النحوية وحفظ ترتيب الألفاظ في النص الأصلي ونقلها إلى النص المترجم، ضرورة ترجمية لابدّ منها؛ وطبعاً إن لم يراعِ المترجم هذا الأصل الترجمي فلم يراع الأمانة. بعبارة أخرى أن الأمانة عند هؤلاء الجماعة تتعلق باللفظ والمعنى معا، ولكن الأمر يختلف عند الفريق الثاني وعلى رأسهم حنين إذ يرون أن الترجمة هي نقل معنى الجملة وسكبها في بنية اللغة المصدر النحوية والأمانة هنا تتصل اتصالا وثيقا بنقل صحيح ودقيق للمعنى.

كان هذان المنهجان مشهورين في العصر العباسي وكان بيت الحكمة هو المؤسسة الحكومية التي تشتغل بترجمة التراث العالمي وجلي أنّ الترجمة لم تكن مجرد نظرية بل كانت عملية مهمة ذات مناهج معينة تدعو لنفسه! والمترجم ينزح إلى أحد المناهج حسب معدّاته العقلية والعلمية. والطريف أن مترجمي القرآن إلى الفارسية نزحوا إلى مدرسة ابن بطريق أي مدرسة ترجمة حرفية أو مدرسة ترى أن حفظ بنية النص الأصلي النحوية ضرورة مهمة في علمية الترجمة. فمثلا تُرجم القرآن إلى الفارسية بعد إذن كتبي من جانب فقهاء ماوراء النهر في عصر الأمير نوح الساماني (المتوفى ٣٦٦ق) اعتماد قول الفقهاء: «روا باشد خواندن و نبشتن تفسير قرآن به پارسى مر آن كس را كه او تازى نداند از
قول خداى عز و جلّ كه گفت: وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه»[٣]، «لا بأس لمن لايفهم القرآن أن يكتبه ويقرأه بالفارسية وهذا لأنَّ الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه». الجدير بالذكر أن هذه الترجمة ترجمة حرفية إذ جعل المترجمون كل لفظ في النص الهدف تحت لفظ قرآني وهذا الأمر يؤيد مدى اهتمامهم بالسياق القرآني والبنيات القرآنية ومدى تقيدهم بالأمانة باللفظ والمعنى في الترجمة.

أما إذا تجاوزنا عن الترجمة القرآنية ـ بوصفها ترجمة النص المقدس ـ وتغافلنا عن ترجمات ابن بطريق اللفظية وتطرقنا إلى ترجمات أدبية أو علمية في العصور اللاحقة كترجمة القصص والكتب الأدبية أو التاريخية فنشاهد الأمر يتفاوت كثيرا.

يلتصق مفهوم الأمانة عند المترجمين الفرس الكبار بنوع من التزيين والزخرفة والتحلّي، يقول نصر الله المنشي (المقتول٥٨٣ق) في مقدمة ترجمته لـ«كليلة

ودمنة» بعد أن عاب الترجمات السابقة للكتاب بأنها ليست إلا رواية محضة أو سرد للقصص: «ترجم [الكتاب] لبسط المعنى والكشف عن الإشارات وتأكيد المعاني بالاستشهاد بالآيات والأخبار والأبيات والأمثال»[٤]. فمهمّة المترجم عنده «بسط المعنى» وهذا هو «نوع من إعادة الكتابة»! وحقا ليس عمل منشي ترجمة بحتة ولا دليل أدلّ على هذا إلا ونحن نسمّيه من الماضي حتّى اليوم «كليله و دمنه نصر الله منشى»!.

والأمر لا يختلف عند سائر المترجمين: ومثلا يقول الوراويني مبيّناً دافعه الترجمي: «كنتُ أودّ لو أصنع كتابا أبرز فيه براعتي اللغوية والأدبية، وهكذا الحال حتى بحثت في عرائس كتب القدماء التي تخلو من الزخارف والحلي عما يصلني إلى قصدي فوجدت «مرزبان نامه» ذلك الكنز المخفي!»[٥](وراويني، ١٣٦٧: المقدمة).إذن لم تكن الترجمة إلا بيئة خصبة لإبراز البراعات الأدبية واللغوية، «إن المترجمين القدماء لم يكونوا ليعتنوا بالنص الأصلي أبدا وكانوا يأخذوا منه المادة الأصلية يُعِدّ لهم سرحاً لإبراز مواهبهم الأدبية في التصنع والتحلّي والتفنن!»[٦].

الجدير بالذكر أنّ الكثير من المترجمين الفرس في القرون الأخيرة أيضاً اتّبعوا أسلافَهم المترجمين في الترجمة، فمثلاً إذا نظرنا إلى ترجمة عبد اللطيف التسوجي التبريزي لكتاب «ألف ليلة وليلة» ندرك بوضوح أن المترجم أعاد الكتابة وصنع نصّا آخر يتفاوت عن النص الأصلي في كثير من الأحيان الأمر الذي شاهدناه عند سائر مترجمي ألف ليلة وليلة، يقدّم خورخه لوئيس بورخس بعد أن دارس ترجمات عدة لألف ليلة وليلة، نظرية ترجمية تعطي الحق للمترجم أن يجري تعديلات مختلفة في النص الأصلي؛ يقول وايسمن (Waisman) ما ترجمته: «دارس خورخه لويئيس بورخس (Borges)، عدة ترجمات لألف ليلة وليلة (١) وبيّن أن عدم رعاية الأمانة في نقل القصص ليس إلا نتيجة للنظرة التاريخية إلى النص؛ يعتقد بورخس أن هذه الترجمات تحتوي على عناصر الثقافة الخارجية والثقافة الداخلية معا، وهي نوع من الخلق وليس مجرد ترجمة...أطلق بورخس على هذه التعديلات ـ إذا كانت في مسيرة تجميل النص ـ مصطلح «Buenasapocrifidades» بمعنى «الجعل الجميل»[٧] (٧٠:٢٠٠٥-٧٤) كما يقول جواد صفري مبيّنا نظر بورخس: «الترجمة وفية عنده، إذا كانت غير وفية! في رأيه أن الترجمة ليست حارسة للغة بل هي خائنتة بها»[٨].

الطريف أنّ هذا الأمر لا يتوقف عند الترجمة الأدبية بل يتجاوز عنها ويصل إلى ترجمة النصوص العلمية؛ نذكر بعض الأمثلة لايضاح المعنى يقول أبو نصر القباوي مترجم تاريخ بخارا في ما يغريه إلى ترجمة الكتاب الذي ألّفه

«أبو بكر محمد بن جعفر النرشخى» (٢٨٦-٣٤٨): «أنه قد ألّف كتابا باسم الأمير إسماعيل بن نوح الساماني رحمه الله تعالى في ذكر بخارا ومناقبها وفضائل أهلها وميزات رستاقها وضواحيها وما يرتبط بها من أحاديث نبوية ...قد طلب منى بعض الأصدقاء أن أترجم الكتاب إلى الفارسية وبما أن الكتاب العربي كان يحتوي على معلومات غير مفيدة مملّة للقارئ فحذفتُها وترجمت الكتاب بشكل نافع للفرس»[٩].

يقول الوزير البلعمي في مقدمة تاريخه المترجم: «هذا الكتاب ترجمة التاريخ الكبير لجرير الطبري رحمه الله، أمرني ملك خراسان أبو صالح منصور بن نوح الساماني إلى ترجمة الكتاب إلى الفارسية ترجمة حسنة مفيدة للفرس، وأنا قرأت الكتاب ورأيته فيه ما يفيدنا من الحجج والعلوم والآيات والأشعار وترجمته بالجهد وتحمل المشاقّ وبلطف من الله تعالى...ولكن كنتُ أودّ لو يشمل الكتاب على تاريخ مختلف العلوم وآراء الفرق المختلفة من الجبر إلى النصارى والجهود والمسلم و...، من بداية الخلق إلى زماننا الحاضر، فأضفت هذه المعلومات إلى الكتاب حتى يكون للقارئ مفيدا»[١٠].

المعروف أن المترجمين المحترفين في العصور الماضية لم يكونوا يتقيّدون بالنص الأصلي وكأنّ النص الأصلي عندهم «نواة» أو «حجر أساس» لخلق نصّ آخر يفيد المتلقّين في لغة المقصد.

يتخلص ما ذكرناه عند أجدادنا المسلمين فيما يأي:

- الأمانة باللفظ ← الأمانة بالنص المبدأ (أو المؤلف)
- الأمانة بالمعنى ← الأمانة بالنص الهدف (أو المخاطب)
- اللا أمانة

- **الأمانة عند علماء الغرب القدماء**

بعد أن نظرنا إلى مفهوم الأمانة عند المسلمين القدماء، نفضّل أن نبيّنَ الأمر عند قدماء الغرب؛لقد اقترن مفهوم الأمانة في الغرب، بالحرفية وهذا يضعنا أمام نوعين من الترجمة:

الترجمة الحرفيةTraductionlittérale

الترجمة الحرة Traductionlibre (الشاملة للمعنوية والترجمة الاقتباسية)

يكره "هوارس" في كتابه "فن الشعر"، ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد كل "ترجمة حرفية Fidusinterpres" لأنها من سمات المترجم ضعيف الفؤاد» (١٩٨٨م: ١١٨)؛ على وفق ما وصل إلينا من نصوص مترجمة أنه من أهم ما وصل إلينا من آراء علماء الروم يتعلق بـ «شيشرو»الخطيب والشاعر الباهر (٤٦ ق-م)، إذ دافع عن الترجمة المفهومية بقوله: «إني ترجمت العبارات

بوصفي خطيبا لا مفسّرا» ومراده من الخطيب من يوظّف آليات الإقناع والتحريض ويحترز من التقيد بالنص الأصلي[١١]. والمعروف أن الأمانة كانت قطب لِرحى نظريات الترجمة، وظلّت الأمر هكذا حتى بعد الميلاد المسيحي إذ نلاحظ «سنت جروم» يبدي رأيه حيال المنهج الترجمي في ترجمته اللاتينية عن الإنجيل و يؤكد و يصرّح بأن الترجمة المفهومية أفضل من الترجمة الحرفية ولكن الأمر يختلف في ترجمة النص المقدس[١٢]، إذ كانت القداسة توجب رعاية الأمانة حتى في البنيات النحوية.

بما أن هدف المترجمين المسيحيين الأوائل، وهم يترجمون النص المقدس، لم يخرج عن دائرة تبليغ الدين المسيحي، فلذلك جاءت ترجماتهم بمثابة عبد وفيٍّ للنص المصدر، الأمر الذي شاهدناه عند الفرس في ترجمة القرآن. والترجمة الحرفية والوفية باللفظ، لو لم ينتقل المعنى بشكل واضح كان مرسوما حتى بدايات القرن السابع عشر للميلاد إن أول ترجمة للنص المقدس تتعلق بالأسفار الخمسة «للتوراة» التي كانت لفظية أو حرفية بحتة، فاشتهرت بترجمة «السبعين»[١٣].

يعتقد هتيم وماندي أن الهدف في الترجمة الحرفية يتلخص في رعاية الأمانة في نقل الكلمات كلّها من النص الأصلي إلى النص الهدف والوحدة الترجمية عند الحرفيين ليست إلا الكلمة نفسها[١٤].

يبدو أنّ أول ترجمة تمّت بالطريقة المعنوية، هي ترجمة وايكليف الإنكليزية للإنجيل في سنوات (١٣٨٠-١٣٨٤ للميلاد) ، يقول باسنيت: -«إنه سعى سعيه أن ينقل معاني جملات النص المبدأ إلى النص المقصد إذ تكون للجمل في النص المقصد معان مفهومة واضحة للمخاطبين الإنكليزيين»[١٥]. ولكن علماء الدين قد حذّروا الناس ومنّعوهم من قراءة هذه الترجمة[١٦]وظلت الترجمة على طريق الحرفية حتى جاءت «مارتين لوثر» في القرن السادس عشر إذ ترجم الإنجيل إلى الألمانية وأكد «قابلية الفهم» للترجمة المقدسة[١٧]. إن الترجمة في هذا القرن التصقت بالمعنوية «على الرغم ما قد يطرحه شخص مثل نيكولاس فون فايل (Nikcolas Von Wyle) من آراء دفاعا عن الترجمة الحرفي»[١٨].

استمرّت نظريات الأمانة في العصر الذهبي الأوروبي بالقرن السابع عشر، وتمظهرت عبارة «الجميلات الخائنات المعروفة» في فرنسا، تعود جذور هذا التعبير إلى فرنسا «les belles infidelles» ثم انتشر في العالم كله، «وهو الزمن الذي كتبت فيه أكثر الترجمات الحرّة تحت الحاجة إلى تكييف النصوص الأجنبية بما يوافق أذواق وعادات الثقافة الهدف بغضّ النظر عمّا ينجم عن ذلك من ضرر على الثقافة الأصل»[١٩].

إن هذه العبارة المشهورة تبيّن بوضوح كيف أن مفهوم الأمانة عند الغرب قد تغير جذريا، إن الجميلة الخائنة تقترب بنظرية «التزيين والزخرفة» عند المترجمين الفرس المسلمين، وكما أن الغربيين وصلوا نهاية إلى أن الترجمة لابدّ لها من أن يتصرف في النص المبدأ؛ فالفرس في القرون الإسلامية الأولى أيضا وصلوا إلى النتيجة نفسها والأمر ما ظلّ لم يتغير بالنسبة لترجمة النصوص القرآنية.

واضح أن مفهوم الأمانة عند قدماء الغرب والشرق قد اجتاز مسيرا مماثلا يتخلص فيما يأتي:

الأمين باللفظ ← الأمين بالمعنى ← الأمين بالنص الهدف (مخاطب النص المقصد)

نعلم أن ميزان الأمانة ودرجتها يحتلف من نص إلى نص ومثلا الأمانة في النص المقدس شئ وفي النص الأدبي والعلمي شيء آخر، ولكن الحق أن مفهوم الأمانة بشكل عام قد تطوّر بهذه الصورة المذكورة.

٣- الأمانة في نظريات الترجمة المعاصرة

أما الأمانة ففرضت حضورها في نظريات الترجمة الحديثة والمعاصرة أيضا، إذا دقّقنا في النظريات الحديثة للترجمة، نرى أنّه بإمكاننا افتراض ثلاث مراحل لنظريات الترجمة العلمية منذ بداياتها: المرحلة ما قبل اللسانية، المرحلة اللسانية، المرحلة ما بعد اللسانية، الأولى هي التي اشتملت على كلّ القرن التاسع عشر واستطاع الباحثون فيها على تعميق معرفتهم في الترجمة وأهميتها وقيمتها ودرسوها كعلم جديد أما المرحلة الثانية فابتدأت في مطلع القرن العشرين ودامت حتى الستينيات من هذا القرن حيث درس الدارسون الترجمة كظاهرة لسانية وهذا مع ازدهار اللسانيات الجديدة، أما الثالثة فهي ما كانت بدايتها في السبعينيات واستمرّت حتى الوقت الراهن مع الجمع بين المرحلتين السابقتين فضلا عن تأكيد النظريات التواصلية والتداولية والخطابية الجديدة بشكل خاصّ.

٣-١- مرحلة ما قبل اللسانية

قد سَبَقنا علماء الترجمة الأوروبيون في الاهتمام بنظريات الترجمة العلمية والمداقّة فيها وفي أخطارها التي تحيط بها خاصة في «ورشة الترجمة الأمريكية» «Workshop translationAmerican» بوصفها بدايةً للاهتمام العلمي بالترجمة. ترعرع في هذه الورشة علماء كبار ك «إزرا باوند/ Ezra Loomis Pound» هو الذي يعزّز نظرية الترجمة عامة وترجمة الشعر على بشكل خاص باعتقاده أنه لايوجد معنى معين في أي نصّ كان، فالنصوص عنده كلها مفتوحة للترجمة وكلّها مجموعة من قطعات متجزّأة وليس على

المترجم إلّا أن ينقل هذه الأجزاء المتجزّأة وتركّبُها مرّة أخرى تركيبا منطقيا على وفق اللغة المنقول إليها[٢٠]. وعلى حدّ قول بعضهم: «إن الترجمة عنده كنموذج لفنّ الشعر!»[٢١]. المعلوم أن باوند يعتقد بأجزاء متجزأة لغوية، علما أن باوند يميل إلى ترجمة الأجزاء اللفظية دون الاهتمام بالمعنى. الأمر الذى رأيناه عند هواة الترجمة الحرفية في العصور القديمة. بعبارة أخرى أن الأمانة هنا ترتبط بنقل اللفظ والتراكيب اللفظية مع إهمال ضروري للمعنى.

٣-٢- النظريات اللسانية

استمرّت حركةُ الترجمة العلمية بمزجها مع نظرية اللسانيات الحديثة وبظهور بدايات نظرية «علم الترجمة» لدى «يوجين نيدا/EugeneNida» واعتماده نظرية «شومسكي/Chomsky» التحويليّة للنحو ونظامه المرتكز على «البناء السطحي/Surface structure»و«البناء العميق /Deepstructure»[٢٢]، يعتقد نيدا أنّ المترجم إذا تحصّل على البناء العميق لجملات النص المبدأ وحوّلها إلى مثيلها أو مكافئها في النص المقصد فيمكن له أن يترجم كل نصّ[٢٣]ومنه النص الشعري. ومعروف قوله «كل معنى إذا تمّ البيان عنه في لغة يمكن بيانه في لغة أخرى طبعا، هذا لو لم تكن الصورة جزءًا من المعنى!»[٢٤]. ومراده من الصورة هي الشكل الظاهري للكلمات والجملات التي تصنع هي بنفسها معاني إيحائية خاصة وهذه المعاني تمّحي في النقل قطعاً. اعتمد نيدا نظرية شومسكى التي تقدّر نواة مشتركة لكل اللغات العالمية فأبدع مصطلح «التكافؤ» «Equivalence» في الترجمة وطرح نيدا مصطلح «التكافؤ الدينامي» وعرّف الترجمة ذات التكافؤ الدينامي ب«أنها أقرب معادل [مكافئ] لرسالة لغة المصدر»[٢٥]، ومراده أن يخلق النص الهدف نفس الأثر والتفاعل الذين نراهما حينما يقرأ المتلقي النصَ المترجم[٢٦]،افضلا عن أن نيدا من هواة نظرية الترجمة المعنوية أو الاتصالية، إذ ينادي بترجمة المعنى وإعادة سياق التراكيب اللفظية في عملية الترجمة من اللغة المنقول منها إلى اللغة المنقول إليها.

أخذ «كاتفوردCatford» مفهوم التكافؤ وبذل جهده في توسيع المعنى، واقترح في البداية أربعة أنواع من الترجمات على أساس المستويات اللغوية هي: الصوتية، والكتابية، والنحوية، والمعجمية مستغلا نظرية «سلَّم الدَّرجات النحوية» لـ«هاليدي» ليصل إلى نوع من التكافؤ الرياضي والتطابق الشكلي بين النصين المبدأ والهدف. والترجمة في رأيه هي «أن يجعل المترجم وحدات اللغوية في النص الهدف تعادل وحدات لغوية النص الأصلي» وبما أن كل نص يمكن تجزئته إلى وحدات لغوية فكل نصّ - ولو كان شعرا – يمكن ترجمته!. الحق أن كاتفورد مع تقديمه نظرية التكافؤ الدينامي الرياضي ومع

اعتقاده بأصل «التأثير المماثل» ولكنه عمليا لم يكن يستطيع ليبتعد عن حرفية نظريته لأنه أكد التكافؤ «في وحدات النص» الأصلية والمترجم تأكيدا شديدا.
ومن أنصار النظرية اللغوية للترجمة (علم الترجمة) هو «بيتر نيومارك PeterNewmark» الذي يؤمن بلغويّة الترجمة إذ يرى أنّ الكلمات هي التي تترجم ولا شيء آخر سوى الكلمات!.«ونظرية الترجمة عنده لابدّ من أن تحدّد المبادئ والقواعد ومختلف الأساليب المتّبعة لترجمة النصوص وكذا لنقد الترجمات، أي إن اهتمامها ينصبّ على الكشف عن الحلول لمشكلات الترجمة ويركز نيومارك على طريقتين صالحتين للترجمة في نظره، لكل أنواع النصوص ـ شعر ونثر ـ هما: الترجمة الاتصالية: يحاول المترجم عن طريقها إحداث الأثر نفسه إذ يحدثه النص الأصلي في قرّائة في متلقي الترجمة ــ وهذا ما سماه «نيدا» بالتكافؤ الدينامي ــ والترجمة الدلالية، يعمل وفقها المترجم على نقل الألفاظ ونحو النص الأصلي كما هو إلى لغة الترجمة»[٢٧]. يقول نيومارك «تحاول الترجمة الاتصالية أن تترك في قرائها تأثيرا أقرب ما يكون إلى التأثير الذي يتركه الأصل في قرائه، بينما تحاول الترجمة الدلالية أن تنقل المعنى السياقي الدقيق للأصل، بقدرما تسمحُ به الأبنية الدلالية والنحوية في اللغة الثانية، فالترجمة الاتصالية لاتخاطب سوى القارئ الذي لا يتوقع أي مشكلات أو غموض، كما ينتظر أن يكون هناك نقل سخي للعناصر الأجنبية إلى ثقافته ولغته عند الضرورة، ولكن حتى في هذه الحالة يجب على المترجم أن يعمل على شكل النص الأصلي بوصفه الأساس المادي الوحيد لعمله، أما الترجمة الدلالية فتبقى في إطار الثقافة الأصلية، ولا تعين القارئ إلا في إدراك إيحاءات تلك الثقافة حينما تكلّ تلك الإيحات الرسالة الإنسانية للنص»[٢٨]وبهذا الشكل صار من هواة الترجمة الحرفية كـ«والتر بنجامين»؛ والمعلوم أن الأمانة أيضا في الترجمة الاتصالية تتعلق بكيفية تلقي المخاطب النص، كما أنها تلتصق بنقل الكلمات ذات المعانى الإيحائية الثقافيةفي الترجمة الدلالية.
أما في سبعينيات القرن التاسع عشر فأخذ يتمظهر تيّار ترجمي جديد فتح الآفاق أمام باحثي الترجمة. حينما كان الجدل فيما بين ورش الترجمة وعلمها أو نظريتها جاء منظّر بلجيكي اسمه «جيمز هومز/JamesHolmes» فأزاح لفظي «نظرية» و«علم» من جانب الترجمة وأضاف إليها «دراسات» وأبدع مصطلح: «دراسات الترجمة/Translationstudies»[٢٩]الذي تحبّذه العرب بصورته الوصفية «الدراسات الترجمية». فالدراسات تخرج الترجمة من نطاق لساني ضيق إلى نطاق الثقافة والخطاب. يعتقد هومز بـأن «التكافؤ» الذي تحدّث عنها نايدا لا يتحقّق في ترجمة الشعر أبداً يستند هومز في قوله هذا إلى اختلاف الترجمات المختلفة لنص واحد! ويقول إذا ترجم نفر من المترجمين

نصا واحدا فالنصوص المترجمة تختلف من شخص إلى آخر. يرى هومز أن ترجمة الشعر نوع من التفسير والنقد الأدبيين، ويرى مترجم الشعر في مكانة أعلى من سائر المترجمين إذ إنه يفسر ويحلل ويترجم ويعيد بناء النص الشعري[٣٠]

يقسم هومز الترجمة عامة وترجمة الشعر خاصة إلى أربعة ضروب، الأول هو أن يحفظ المترجم صورة النص الأصلي (بنيته النحوية والشكلية) وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون النص المترجم عين النص الأصلي ولكنّه يقرب منه ويشاركه في بعض الملامح. الثاني هو أن يتميّز الدور الثقافي للنص الأصلي ويعيد صوغه في النص الهدف مرة أخرى وهذا النوع يعتمد إيجاد الدور المشابه للترجمة (يشبه بنظرية الترجمة الوظيفية). أما الثالث فهو ترجمة تأخذ المعنى من النص الأصلي ويعيد سكبه في قالب جديد في النص الهدف. والضرب الرابع هو ترجمة لم يهتم المترجم بها بالنص الأصلي أقل اهتمام فيصير النص المترجم بعيدا عن الأصل، ففي كل هذه الضروب لا يمكن أن تعادل الترجمة النص الأصلي أبدا[٣١]

إذا راجعنا إلى نظرية هومز في الترجمة نرى أن هومز بذل جهده لنقد نظرية التكافؤ ولكن عمله بات عقيما وهو نفسه أيضا عاد إلى مفهوم التكافؤ بعد أن نقده.

من أهمّ منظري الترجمة هو «أندريه لوفيفر/AndreLefevere» الذي ركز في نظريات ترجمة الشعر في كتابه «ترجمة الشعر»؛ إنه يبين إستراتيجيات المترجمين الإنكليزين في ترجمة قصيدة «كاتولوس»[١] الرابعة والستين «شعر شصت و چهارم كاتولوس» وأحصى سبع مناهج ترجمية حسب ما يلي: ١) الترجمة الصوتيمية (Phonemictranslation) هي التي تخص اهتمامها بتقريب البنى الاشتقاقية ولكنها تُهمل المعنى ٢) الترجمة الحرفية (LiteralTranslation) وهي درج معادل في النص الهدف لكل لفظ من ألفاظ النص الأصلي ٣) الترجمة الوزنية هي التي تقرب من الصوتية ولكنها تعتني بالوزن دون النحو والدلالة ٤) الصيغ النثرية (ProseVersion)، هي ترجمة الشعر إلى البنى النثرية ٥) الترجمة المقفّاة (Rhythming) هي ترجمة تحتفظ بقافية الشعر في عملية الترجمة ٦) الشعر المرسل (BlankVerse) هي تحتفظ بأدبية النص ومعناه إلى حد بعيد ولكنها تبيد الوزن إلى حد بعيد ٧) التفسير (Interpretation) «شاملا الصور المستنسخة والمحاكاة، إذ يتمّ تفسير موضوع النص ليكون أيسر في التلقي»[٣٢]وحصل على أن منهج

(١) غايوس والريوس كاتولوس من شعراء الروم القدماء.

«الترجمة التفسيرية» هو أفضل منهج لترجمة الشعر بواسطة ما فيه من احتفاظ بجميع الجوانب الشعرية من الوزن إلى الدلالة والمعنى، «يناقش لوفيفر ما يسميه «النُّسخ المعدَّلة» إذ يتمّ الاحتفاظ بمادة نص اللغة الأصل ولكن الشكل يتغيّر. كما يناقش ما يسيمه المحاكاة إذ ينظُم المترجم قصيدة من إنتاجه يشترك فيه العنوان ونقطة الانطلاق فقط مع النص الأصل، هذا إذا اشتركوا»[٣٣].

وعلى حدّ قوله «إن مهمّة المترجم هي على وجه التّحديد أن ينقل النص المصدر؛ أي تفسير المؤلّف الأصلي لموضوع معين، معبرا عنه بعدد من التنوعات، إلى قارئ ليس له ألفة بتلك التنوعات، ويكون ذلك بأن يستبدل بتنوعات المؤلّف مكافئات من لغة وزمان ومكان وتراث يختلف جميعها عن نظائرها في النص المصدر، هي أن المترجم عليه أن يضع في مكان «جميع» التنوعات المشمولة في النص المصدر المكافئات التي لها»[٣٤].

استمرّ تيّار دراسات الترجمة في الغرب في عصر يمكن تسميته «العصر ما قبل التفكيكية[٢]» وكانت السمة الأكثر بروزا لهذا العصر هو اعتماد نظريات الترجمة نوع من مفهوم التكافؤ!، فلم يكن يتمكن لوفيفر أو هومز أو أي دارس آخر مثل «كاتفوردCatford» من أن ينزح نفسه عن مصطلح التكافؤ وكانوا يعتمدونه في نظرياتهم والسبب يعود إلى شرطهم لـ«غاية» الترجمة أن تكون «مكافئةً» للنص الأصلي مهما كان معنى التكافؤ عندهم.

إن الناظر في نظرية التكافؤ ونظريات الترجمة اللسانية وطرق الترجمة المتعددة، يرى بوضوح أن هذه النظريات تتبنّت على نوع من الأمانة المزدوجة أو الأمانة باللفظ والمعنى، بعبارة أخرى إن هذه النظريات سعت من وراء الحصول على نص هدفٍ يكافئ النص الأصلي في البنية واللفظ أولا وفي المعنى والتفسير والتأثير ثانية، أما الحق أن أصحاب نظرية التكافؤ لم يتمكنوا من تقديم معيار لساني أو لغوي للتكافؤ وكلما طرحوه وقدّموه ليس إلا نماذج شخصية اعترف أصحابها فيما بعد بنقصانها وعدم تطبيقيتها، يقول ماندي: (Mondey) «كيف يمكن لنصّ أن يكون له تأثير مماثل في ثقافتين مختلفتين؟ الحق أن نظرية التكافؤ أو التعادل يلتصق بنوع من الحكم الذهني الشخصي وليس علميا[٣٥]أو يقول جوليان هاوس: «إن التكافؤ في شكله الصوري، لايناسب في أكثر الأحيان مع أهداف المترجمين، يرى أصحاب التكافؤ أن النص

(٢) استخدم «سعد مصلوح» في ترجمته لكتاب «إدوين غينتسلر» مصطلح «التقويضية» بدلا عما تعودت عليه العرب فهو «التفكيكية» الأكثر استعمالا.

يستوعب معنى أو بنية ثابتة يمكن للمترجم أن ينقلها ويُتمّ عملية الترجمة ولكن هذه

القراءة تعارض الأصل الأساسي الذي يذهب إلى إعادة بناء المعنى من جانب المتلقي وإمكانية التفسير المتعدد، وبما أن أصحاب التكافؤ قد تفتّنوا أخيراً بهذا الأمر بدّلوا مصطلح التكافؤ بمصطلح آخر "النص القابل للفهم"، فبهذه الصورة اعترفوا بدور المتلقي ـ مترجماً كان أو مخاطب النص الهدف ـ في عملية الترجمة وإهمال النص الأصلي إلى حدّ بعيد[٣٦].

٣-٣- النظريات ما بعد اللسانية (الثقافية)

تمظهرت النظريات الوظيفية (Skopos) للترجمة في أواخر سبيعينيات القرن الماضي (١٩٧٠) على يدي الباحث الإنكليزي هانس. جى. فرمير (١٩٣٠-٢٠١٠م) وزميلته الباحثة كاترينا رايس، في كتابهما الموسوم بـ«مبادئ لنظرية الترجمة العامة»، وأكدا «وظيفة النص المترجَم» في ثقافة اللغة الهدف[٣٧]. يرى منظرو الوظيفية أن الترجمة «فعل يقوم به شخص له هدف اتصالي معين، وهو ما أطلقت عليه رايس وفرمير مصطلح « Texts Skopos»[٣٨].

«ولأن تحقق الملاءمة في شكل الاتصال هو دائما ذو علاقة بإنجاز الهدف المقصود، لذلك تكستب الثقافة المستهدفة أهمية حاسمة»[٣٩]، بعبارة أخرى أن الوظيفيين يذهبون إلى الجملة الشهيرة «الغاية تبرر الوسيلة» ويؤكدون أن «قاعدة الغاية بعبارة ودون إلحاح على ترجمة واحدة متصفة بالكمال أو على إستراتيجية معينة من أي نوع؛ يطالب الوظيفيون المترجمينَ بالسعي الدائب لإيجاد أفضل الحلول في إطار الظروف الفعلية القائمة، إن في اختيار المترجمين أن يختاروا جانب الوفاء لروح النص المصدر أو إستراتيجية كلمة بكلمة، ويمكنهم أن يزيدوا أو ينقصوا أو يغيّروا المعلومة بقدر ما يرونَه مناسباً، واعتماد الظروف الثقافية وحاجات الجمهور أو المتسهلك(*المصدر نفسه: ١٨٥*).يركّز الوظيفيون في أصل «تكييف النص مع أهداف المترجم أو أهداف المتلقّين» ويخيّرون المترجمين بين انتخاب منهج الترجمة المناسبة للأغراض[٤٠].

يبيّن أصل التكييف أن الترجمة الوفية ليست إلا ما تناسب أهداف الثقافة المستهدفة، يعتقد «فرمير» بأن المترجم ليس إلا مأمورا طلب منه الوصول إلى بعض الأهداف، وبما هذه الأهداف تتغير الإستراتيجيات الترجمية خلال عملية الترجمة.

والحق أن هذه النظرية تبرّر إذا صحّ التعبير الكثير من التصرفات الترجمية المدعمة بالدوافع الأيديولوجية في الخطابات الأدبية أو السياسية، فمثلا إن المترجم لخطاب الرئيس المصري السابق « محمد مرسي» في مؤتمر «دول عدم الانحياز» ـ طهران، ٢٠١٢/٨/٣٠)، قد حرّف لفظ سوريا إلى البحرين وانتسب ما قاله مرسي إلى حكومة البحرين من أنّه حكومة ظالمة مسفكة للدماء ولابد لها أن ترحل، و بهذه الصورة قدّم للمتلقي الفارسي ما يلائمه ويلائم أهداف الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولكن ـ ونحن نعلم ـ ليس هدفه الترجمي إلا الدفاع عن حياز المستضعفين والذود عن مبادئ الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بعبارة أخرى أن المترجم ليس خائنا بل هو أمين وفيّ، ولكن وفاءه يرتبط بالنص الهدف وثقافته ومخاطبيه. هذا وتبرّر هذه النظرية الكثير من الحذف والإضافات والتغييرات التي نشاهدها في ترجمة النصوص الأدبية أو الخطابات أو الأفلام السينمائية أو ...، مما يناسب النص الأصلي مع مخاطبي النص الهدف.

أما النظرية الأخيرة التي نعالجها فليست إلا التفكيكية ولكن قبل التطرّق إلى التفكيكية، لابدّ لنا أن نلقي الضوء على نظرية «بنجامينWalterBenjamin» في الأدب والترجمة المؤسسة على أهميّة وظيفة المترجم في مقاله «مهمّة المترجم»، فهو في مقاله هذا يقارن بين عمليّة قول الشعر وعملية الترجمة ويقول: «للشاعر نيّة آنيّة شخصية وللمترجم نيّة تقليدية نهائية نظرية! وهذه النية عظمية جدا إذ تتمحور حول دَمْجِ اللغات في لغة واحدة!»[٤١]،وبهذا القول يرتقي بمقام الترجمة إلى درجة تفوق على قول الشعر وهو أفضل أنواع الأدب. لايتوقّف بنجامين عند هذا الحدّ ويجتاز الحدود التقليدية للترجمة ويقول: «إن الترجمة هي العامل الرئيس لخلود النص الأصلي والتي تصونه عن التبدد والزوال وبالترجمة يدخل النص الأصلي في مرحلة البلوغ والتطور»[٤٢]وهذه الآراء جعلت التفكيكيين فيما بعد أن ينزعوا مفهوم الأصل عن النص الأصلي الأوّلي ويفتحون آفاقا جديدة في الترجمة.

أخرجت «التفكيكيّة/Deconstruction» نظريات الترجمة من أزمة التكرار وفتحت أمامها آفاقا فكرية جديدة تتطّلب بالإلحاح أن ينسى المترجم مصطلح «الأصل» والنص الأصلي ويطرح تساؤلا عجيبا هو «ما هو قبل الأصل؟» أ هو فكرة أم شكل أم شيء آخر؟ ينظُر التفكيكيون إلى الترجمة من منظور جديد وطرحوا «فرضية تقول: إن النص الأصلي هو الذي يعتمد على الترجمة! ... ماذا إذا كان تحديد معنى نصّ ما غير محكوم بالأصل، بل بالترجمة؟ ماذا إذا كان الأصل فاقدا لأي هوية ثابتة يمكن تحديدها جماليا أو علميا ولكنه يتغير في كلّ لحظة زمنية يعبرها إلى الترجمة؟[٤٣]

و على خلاف جميع النظريات التي مرّ ذكرها «نجدُ أن الفرض الذي يستقرّ أساسا لفكر دريدا هو أنه لا وجود لبنية نواة (Kernel) أو بنية باطنة (Deep) أو لعامل ثابت يكون أساسا للمقارنة؛ إن ذلك شيء لايمكن استبانته البتة، فضلا عن إمكان تصويره أو ترجمته، أو وجود نظرية لمعالجته، وعلى العكس من ذلك يؤسّس دريدا نظريته على التقويضية وعلى عدم المطابقة وعدم الحضور وعدم القابلية للتمثيل، إن الماثل في ما يرى دريدا هو سلاسل من الدلالة تضمّ الأصل وترجماته في علاقة تكافلية تكاملية، يرفد فيها بعضها بعضا، في تحديد وإعادة تحديد».[٤٤]

بعبارة أخرى أن الترجمة عند دريدا ليست تمثّل عملية ثانوية، مثلما كان يفعل والتر بنيامين، «يعتقد دريدا بأن اللغات ليست مفصولة بعضها عن البعض الآخر، حقا...كل ترجمة يجب أن تسعى إلى فرض غرابة النص المترجَم على المترجم إليها، فتبتعد عن ذلك قليلا لجرّه إلى هذه اللغة، وتبتعد عن هذه قليلا لجرّها إلى ذلك النص: هكذا حتى تنشأ لغة ثالثة هي أقرب إلى اللغة الكبرى المتخفية ...هذه الترجمة فعالة بالضرورة عدوانية نوعا ما»[٤٥].

بناءً على آراء دريدا يمكننا القول: يعتقد دريدا أن كلّ النصوص أصلية لأنّ كل ترجمة تحمل في ثناياها ملامح وميزات خاصة! لايهتمّ دريدا بمسألة إمكان الترجمة أو عدمه ويعتقد بأن المترجم إذا سعى من وراء نقل معاني النص ــ الشعري مثلا ــ لايتمكن من هذا الأمر أبدا ولكنّه يفضّل معنى ويهمل الآخر ولكنه حين يسكب المعنى في لفظ آخر يخلق معاني جديدة لم تكن في النص الأصلي[٤٦].

وأخيرا وفي مرحلة التفكيكية أو بعد اللسانية نشاهد كيف أن منظري الترجمة يميلون إلى الغفلة عن الأصل وإعطاء القيمة الأصلية للنص الهدف! ما أشبه هذه المسيرة بما رأينا عند قدمائنا المسلمين إذ وصلوا نتيجة إلى أنّ ترجمة نص مثل كليلة ودمنة أو مرزبان نامة أو تاريخ الطبري أو ... لا تتمّ إلا عن طريق الغفلة عن النص الأصلي! لا أعتقد بأن مترجمي العصور الماضية كانوا من أصحاب التفكيك ولاأقول بأن آراءهم تقترب من هذه النطرية؛ لأن هذه النظرية تأسّست على أسسّ فلسفية ـ ولكن أؤكد تشابه مسيرة اجتازتها الترجمة في العصور القادمة وعصرنا الحديث، والطريف أن مفهوم الأمانة في كل هذا المسير كان «مفتاحيا» جدا! فبعضهم رأوا الأمانة في نقل البنية اللفظية وبعضهم الآخر يرى في نقل المعنى واللفظ وبعضهم يرى ذلكفي التغافل عن الأصل والاهتمام بالنص الهدف ومتلقّيه.

فضلا عن أن نظريات الترجمة المختلفة قد غيرّت التعبيرات ــ إذا صحّ التعبير ـ ومع أن منظّري الترجمة بذلوا جهودا مضنية ليقدموا نظريات حديثة جديدة

ولكن الحق يرافقنا لو نقول إن نظريات التكافؤ بعناوينها المتعددة كلها تأسست على خلاف بين نقل اللفظ أو المعنى، وهذا يعني أن الجدل بين أرجحية هاتين الطريقتية لاتزال موجودة والسبب يعود إلى كيفية تعريف الباحثين للأمانة: الأمانة باللفظ أو الأمانة بالمعنى أو كليهما. ولكن الحق أن نظريات الترجمة الوظيفية والتفكيكية قد تعطي الحق بالمخاطب والنص الهدف وتهمل النص الأصلي معانيه وألفاظه فبهذا الشكل تقترب من الواقع التطبيقي للترجمة.

٤- نظرية التصرف

بعد أن فصّلنا القول في مكانة الأمانة في نظريات الترجمة وآراء علماء الترجمة والمترجمين منذ العصور الماضية حتى زماننا المعاصر وبعد أن قبلنا أن مفهوم الأمانة يتغيّر عندهم بتغيير منظارهم إلى الترجمة. نذكر أن الواقع الرئيس الموجود يخالف الكثير من الأمور التقليدية التي تعوّدنا عليها ونكرّرها في صفوف الترجمة، يقول قطاف تمام: «أؤكد أن المقاربات النظرية للفعل الترجمي تسعى في معظم الأحيان إلى المثالية التي تصعب تحقيقها في أرض الواقع، لأنه ثمة ظروف تحيط بالنص والمترجم تفرض نفسها على كيفية انتهاج الأسلوب الذي سوف يتبناه المترجم في أثناء عملة النقل، هذه الظروف تجعل من المترجم لايتمتع بالحرية التامة»[٤٧]؛إذن علينا أن نقبل أنّ رعاية الأمانة (في أي نظرية وأي مدرسة ترجمية) لاتحقّق كاملا، بعبارة أخرى أن المترجم لايستطيع ولايتمكن من أن يبتعد عن أفكاره الخاصة وأيديولوجياته المميزة كما يتعسر عليه أن يغمض العين على ما يهواه مخاطبوه في اللغة المنقول إليها، فالتصرّف مصطلح ترجمي وهو من أهم موضوعات تدرسها باحثو الترجمة حاليا كظاهرة ترجمية لابد لنا من أن نقبلها ونعترف بها، يقول هتيم ومآندي «إن التصرّف ليس إلا مزج المترجم أفكاره ومعتقداته بمعاني النص الأصلي في أثناء عملية الترجمة»[٤٨]،وهو ظاهرة تشكّلت إثر قبول أصل ترجمي يقول: «إذا أردنا أن نقبل التصرفات الترجمية فعلينا أن نحتسب الترجمة نوعا من إعادة الكتابة (re-wtiting) أو «التدخل» (manipulation)»[٤٩].

قبول مسألة التصرف علميا، يعود إلى دي بوغراند (DeBeaugrande) (١٩٨٤) ودريسلر (Dressler) (١٩٨١) إذ احتسباه نوعا من إستراتيجيات في سبيل تحقيق الأهداف التي يطمح إليها الكاتب، يقول دي بوغراند «ينجلي النقل عندما يسعى النص إلى إعطاء وصف محايد للموقف، في حين يتجلّى التصرف عندما يسعى النص إلى توظيف الموقف لخدمة أهداف الكاتب، لذا يختار الكاتب في عملية إنتاج الخطاب إما التصرف، وإما النقل في ضوء جنس النص ونزعاته الشخصية»[٥٠].أدخل شناق (١٩٨٦) مفهوم التصرف إلى جانب النقل في بيئة الترجمة وفارق بين الترجمة بوصفها النقل والترجمة بوصفها

التصرف، «فذهب إلى أن المترجم وليس المؤلف من يتولّى السيطرة على هذا البعد الخطابي، فالتصرف يتجلى حين يقرّر المترجم التدخّل الفكري في النص بينما يتجلى النقل عندما يقدم المترجم ترجمة أمينة للنص»[٥١].

كل هذه النظريات تذهب إلى أن المفاهيم التقليدية للأمانة ليست إلا معايير نموذجية تغفل عن دور المترجم في عملية الترجمة: «فالمترجم إنسان في البداية والنهاية يتأثر ببيئته ومجتمعه وبالحقبة الزمنية التي يعيش فيها»[٥٢] ولايمكنه أن ينسلخ عن كل المؤثرات التي كوّنت معارفه وسماته.

فضلا عن أنه قد عدَّ بعضهم التصرف (عدم رعاية الأمانة)كإستراتيجية ترجمية، تقول فرزانه فرحزاد: «الإستراتيجية الترجمية هي كيفية معاملة المترجم مع مضايق النص الأصلي والحلول التي يختارها في عملية الترجمة، الحلول التي تندرج غالبا في حذف أو إضافة أو استبدال أو اختيار أساليب خاصة أو غير هذه الأمور التي تعدّ حلولا لمضايق عملية الترجمة[٥٣]. فمع أننا تعوّدنا أن نعدّالإضافات والتغييرات نوعاً من الأخطاء الترجمية ولكنها، في أكثر الأحيان تندرج في دائرة الإستراتيجيات الترجمية والتبديلات الثقافية.

نختم البحث بذكر مثال من مواجهة مترجم شيعي مع عبارة «علي (كرّم الله وجهه)، نعلم أنه لم يشك في أن ينقله بـشكل «علي عليه السلام»!، هذا أشهر مثال للتصرف الذي لا ملاذ منه، إن هذه الترجمة أمينة وفية بمخاطب النص الهدف كما هي أمينة بالنسبة لمعتقدات المترجم الشيعية.

٥ـ النتيجة

١ـ كانت الأمانة منذ عهد شيشرو محوراً رئيساً لمختلف النظريات الترجمية القديمة. كانت الأمانة عند أصحاب الترجمة الحرفية تخصّ بنقل الألفاظ نقلا دقيقا، وطبعا يهمل الحرفيون نقل المعنى كما يهملون مخاطب النص الهدف، تتعلق الأمانة في الترجمة المعنوية بنقل المعنى وإهمال اللفظ.

٢ـ كان الجدل بين اللفظ والمعنى موجودا حتى في العصر الإسلامي ونحن نرى المدرستين الكبيرتين في الترجمة، مدرسة حنين بن إسحاق الذي يذهب مذهب الترجمة المعنوية المفهومية ومدرسة ابن بطريق الذي يفضّل الترجمة اللفظية. كان القرآن يترجَم في هذا العصر ترجمة لفظية لأنّها تغيّر اللفظ فقط ولاتبدّد البنيات النحوية وتبقى وفيّة بها.

٣ـ تمّت الترجمة عند المترجمين الفرس القدماء ـ كنصر الله المنشي أو الوراويني أو القباوي أو آخرين ـ بشكل اقتباسي وأقلّ وفاء بالنص الأصلي؛ إن هذه الترجمة تناسب ثقافة النص الهدف وتفي بها دون عناصر النص الأصلي.

٤- عالجت نظريات الترجمة الحديثة، مسألة الأمانة وأخرجتها من دائرة الجدل اللفظي والمعنوي وقدّمت نوعا جديدا من الأمانة لم تكن موجودة عند القدماء المنظرين ولكنها كانت موجودة ـ تطبيقياً ـ عند آبائنا المترجمين وهي الأمانة بالمخاطب وثقافة النص الهدف.

٥- تتمظهر الأمانة بالمخاطب وثقافة النص الهدف في نظريات الترجمة الوظيفية والترجمة التفكيكية، مع أنها كانت قد فرضت حضورها في نظرية التكافؤ الدينامي أو الاتصالي، ولكن بشكل هامشي مبهم.

٦- كثيرا ما يوافق الواقع التطبيقي لمسألة الأمانة، مع نظرياتِ الترجمة التي تعطي الحقّ بالمخاطب ويخالف نظريات الأمانة التقليدية المبهمة التي تخصّ بالنص الأصلي ـ سواء بألفاظه أو معانيه ، إن الواقع يجعلنا أن نقبل مسألة التصرف الترجمي وننظر إليها كأصل ترجمي يمكن دراسته.

الهوامش

١الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، (بيروت: ١٤٢٤ق)،م١، ٥٤.

٢الصفدي، خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناووط، تزكي مصطفى، ط١، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: ٢٠٠٠م)، م ٣، ص ٧٩.

٣الطبري، محمد بن جرير، ترجمه تفسير طبري، ج١، مصحّح: حبيب يغمايي، (تهران: نشر توس، ١٣٥٦ش)، م١، مقدمة، ص٥-٦.

٤منشي، أبو المعالى، نصر الله، ترجمه كليله و دمنه، تصحيح و توضيح: مجتبى مينوي، تهران: أمير كبير، ١٣٨٩)، مقدمة، ص ٢٥.

٥وراويني، سعد الدين، مرزبان نامه، تصحيح: محمد روشن، (تهران: نشر نو، ١٣٦٧)، مقدمة.

٦مشتاق مهر، رحمان، «تلقى قدما از ترجمه ادبى»، (مجله زبان و ادب، ١٣٧٩ش)، العدد ١١، صص ١٠٣-١١٢.

٧ Waisman, Sergio, Borges and Translation: The Irreverence of the Periphery, Lewisburg: Bicknell University Press, 2005. P70-74

٨بورخس، خورخه لوئيس «ترجمه چيست؟»، ترجمه جواد صفري، (مجله مترجم، ١٣٩٥ش)، العدد ٥٩، صص ١١١١-١٢٠.

٩النرشخي، أبوبكر محمد بن جعفر، تاريخ بخارا، ترجمة أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر القباوي، تلخيص محمد بن زفر بن عمر، تصحيح: مدرس رضوي، (تهران: انتشارات سنائى، د.ت)، مقدمة، ص٢.

١٠البلعمي، أبو على محمد بن محمد بن بلعمى، ترجمه تاريخ طبرى، تصحيح مرحوم محمدتقى بهار، به كوشش محمد پروين گنابادى، م١، ط٢، (تهران: نشر زوار، ١٣٥٣ش)، مقدمة، ص٢.

١١ماندى، جرمى، (١٣٩١ش)، معرفى مطالعات ترجمه، ترجمه على بهرامى و زينب تاجيك، ط٣، ويراست سوم، (تهران: نشررهنما)، ص ٣٣.

١٢المصدر السابق، ص ٣٥

١٣رضايى باغ بيدى، حسن، «نگاهى گذرا به ترجمة متون مقدس و ترجمه‌هاى قرآن»، (مجله معارف١٣٨٤ش)، العدد، صص ٣١-٤٧.

١٤هتيم بزيل وماندى جرمى، مرجعى پيشرفته براى ترجمه، ترجمه مريم جابر زير نظر فريبرز مجيدى، (تهران: سمت، ١٣٩٣ش)، ص٣٩.

١٥باسنيت، سوزان، دراسات الترجمة، ترجمه وقدّم له: فؤاد عبدالمطلب، (دمشق: منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، ٢٠١٢م)، ص٧٦.

١٦رضائي باغ بيدي، المصدر السابق، ص ٣٤.

١٧باسنيت، المصدر السابق، ص ٧٧.

١٨نيدا، يوجين، نحو علم للترجمة، ترجمة ماجد نجار، ط١، (بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام، ١٩٧٦م)، ص ٤٣.

١٩جعلاب، جابر، (٢٠١٥م)، حدود التصرف في الترجمة الأدبية، Les fables de La Fontaine de Jean de La Fontaine بترجمتي محمد عثمان جلال وبشير مفتاح إلى العربية (دراسة تحليلية ونقدية)، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في الترجمة، إشراف: د سعيدة كحيل، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية.

٢٠گنتزلر، إدوين، نظريه‌هاى ترجمه در عصر حاضر، ترجمه على صلح جو، (تهران: هرمس١٣٨٠ش)، ص ٢٨

٢١المصدر السابق، ص ٢٩

٢٢عناني، محمد، نظرية الترجمة الحديثة، ط١، (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان٢٠٠٣م)، ص ١٣.

٢٣گنتزلر، المصدر السابق، ص ٧١–٧٥

٢٤منافي اناري، سالار، «ترجمه ناپذيرها در شعر فارسي»، (مجله زبان و ادب١٣٨٣ش)، العدد، ١٩، ص ١٤٤.

٢٥نيدا، يوجين، نحو علم الترجمة، ترجمة ماجد النجار، (العراق: الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، ١٩٧٦)، ط١، ص ٣٢١.

٢٦شاهين، محمد، نظريات الترجمة وتطبيقاتها، ط١، (الأردن: مكتبة دار الثقافة، ٢٠٠٨م)، ص ٧.

٢٧بوحلاسة، سارة، «أهمية نظرية قواعد الحالات لشارل فيلمور في ترجمة النصوص الأدبية، ترجمتا "منير البعلبكي" و "دار أُسامة" لقصة مدينتين لتشارلز ديكنز نموذجا»، رسالة الماجستير، تحت إشراف صالح خديش وأحمد مؤمن، (جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٢م)، ص ٤٠.

٢٨نيومارك، بيتر، الجامع في الترجمة، ترجمة وإعداد: أ.د حسن غزالة، ط١، (بيروت: دار ومكتبة الهلال ٢٠٠٦م)، ص٨٣.

٢٩گنتزلر، المصدر السابق، ص٩٧.

٣٠المصدر السابق.

٣١المصدر السابق، ص١٢٠.

٣٢غينتسلر، إدوين، في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة، ترجمة د سعد عبد العزيز مصلوح، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩م) ص ٢٣٦.

٣٣باسنيت، سوزان، دراسات الترجمة، ص ١١٧.

٣٤غينتسلر، إدوين، في نظرية الترجمة، اتجاهات حديثة، ص٢٣٦.

٣٥ماندى، جرمى، معرفى مطالعات ترجمه، ص ٨٣.

٣٦هاوس، جوليان، مقدمه‌اى بر مطالعات زبان و ترجمه، مترجم على بهرامى، (تهران: رهنما، ١٣٨٨ش)، ص ٤١–٤٢.

٣٧ماندى، جرمى، معرفى مطالعات ترجمه، ص١٥٤

٣٨المصدر السابق

٣٩غينتسلر، في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة، ص ١٨٤.

٤٠هاوس، جوليان، مقدمه‌اى بر مطالعات زبان و ترجمه، ص ٣٣.

٤١نجوميان، أمير على،«ترجمه از ديدگاه والتر بنيامين و ژاك دريدا»، كتاب ماه ادبيات و فلسفه،١٣٨٣ش، العدد ٧٨، فروردين، ص٤٤.

٤٢المصدر السابق، ص ٤٦

٤٣غينسلر، إدوين، نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة، ص ٣٤٥

٤٤المصدر السابق، ص ٣٥٠.

٤٥دريدا، جاك، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، تقديم محمد علال سيناصر، ط٢، دار توبقال للنشر، (المغرب: دار البيضاء،٢٠٠٠م)، ص ٤٧.

٤٦نجوميان، «ترجمه از ديدگاه والتر بنيامين و ژاک دريدا»، ص ٤٦

٤٧قطاف تمام، عبدالكريم، «أمانة الترجمة بين النظرية والتطبيق، آراء ومفاهيم»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٧، ص.16

٤٨هتيم بزيل وماندى جرمى، مرجعى پيشرفته براى ترجمه، ص ١٧٠

٤٩المصدر السابق، ص٥٠٠.

٥٠فرغل، محمد، «التصرف الأيديولوجي في الترجمة مصطلحاً ومفهوماً»، (**مجلة نقد وتنوير**،٢٠١٥م)، ، العدد٣، ص١٤٥

٥١المصدر السابق

٥٢مصطفى، حسام الدين، (أسس وقواعد صنعة الترجمة،٢٠١١م)، ،كتاب إنترنتي:

www.hosameldin.org –

٥٣فرحزاد، فرزانه، «نقد ترجمه، آرائه مدلى سه وجهي»، (مجلة پژوهشنامه،١٣٩٠ش)، ، العدد ٨٨، پاييز، ص ٢٩–32

المصادر والمراجع

- باسنيت، سوزان، (٢٠١٢م)، دراسات الترجمة، ترجمه و قدّم له: فؤاد عبدالمطلب، دمشق: منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة.
- بوحلاسة، سارة، (٢٠١٢م)، «أهمية نظرية قواعد الحالات لشارل فيلمور في ترجمة النصوص الأدبية، ترجمتا "منير البعلبكي" و "دار أُسامة" لقصة مدينتين لتشارلز ديكنز نموذجا»، رسالة الماجستير، تحت إشراف صالح خديش وأحمد مؤمن، المغرب: جامعة منتوري، قسنطينة
- البلعمي، أبو على محمد بن محمد بن بلعمى، (١٣٥٣ش)، ترجمه تاريخ طبرى، تصحيح مرحوم محمدتقى بهار، به كوشش محمد پروين گنابادى، ج١، چ٢، تهران: نشر زوار.
- الجاحظ، عمرو بن بحر، (١٤٢٤ق)،الحيوان، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- جعلاب، جابر، (٢٠١٥م)، حدود التصرف في الترجمة الأدبية، Les fables de La Fontaine de Jean de La Fontaine بترجمتي محمد عثمان جلال وبشير مفتاح إلى العربية (دراسة تحليلية ونقدية)، رسالة مقدمة لنيل الماجستير في الترجمة، إشراف: د سعيدة كحيل، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية.
- دريدا، جاک، (٢٠٠٠م)، الكتابة والاختلاف، ترجمة كاظم جهاد، تقديم محمد علال سيناصر، ط٢، دار توبقال للنشر، المغرب: دار البيضاء.
- الصفدي، خليل بن إيبك، (٢٠٠٠م)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: أحمد الأرناووط، تزكّي مصطفى، ط١، بيروت:دار إحياء التراث العربي.
- الطبري، محمد بن جرير،(١٣٥٦ش)،ترجمه تفسير طبري، ج١، مصحّح: حبيب يغمايي، تهران: نشر توس.
- عناني، محمد، (٢٠٠٣م)،نظرية الترجمة الحديثة، ط١، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.

- غينتسلر، إدوين، (٢٠٠٩م)، في نظرية الترجمة، اتجاهات معاصرة، ترجمة د سعد عبد العزيز مصلوح، القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب.
- گنتزلر، إدوين، (١٣٨٠ش)،نظريه‌های ترجمه در عصر حاضر، ترجمه على صلح جو، تهران: هرمس.
- ماندى، جرمى، (١٣٩١ش)، معرفى مطالعات ترجمه، ترجمه على بهرامى و زينب تاجيك، چ٣، ويراست سوم، تهران: رهنما.
- مصطفى، حسام الدين، (٢٠١١م)، أسس وقواعد صنعة الترجمة، كتاب إنترنتي:
- www.hosameldin.org
- منشي، أبو المعالى، نصر الله، (١٣٨٠ش)، ترجمه كليله و دمنه، تصحيح و توضيح: مجتبى مينوي، تهران: أمير كبير.
- النرشخى، أبوبكر محمد بن جعفر، (د.ت)، تاريخ بخارا، ترجمة أبو نصر أحمد بن محمد بن نصر القباوي، تلخيص محمد بن زفر بن عمر، تصحيح: مدرس رضوي، تهران: انتشارات سنائى،
- نيدا، يوجين، (١٩٧٦م)، نحو علم للترجمة، ترجمة ماجد نجار، ط١، بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام.
- نيومارك، بيتر، (٢٠٠٦م)، الجامع في الترجمة، ترجمة وإعداد: أ.د حسن غزالة، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- هاوس، جوليان، (٢٠١٠م)،مقدمه‌اى بر مطالعات زبان و ترجمه، مترجم على بهرامى، تهران: رهنما.
- هتيم بزيل وماندى جرمى، (١٣٩٣ش)، مرجعى پيشرفته براى ترجمه، ترجمه مريم جابر زير نظر فريبرز مجيدى، تهران: سمت.
- هوراس،فن الشعر، (١٩٨٨م)، ترجمة لويس عوض، ط٣، القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب.
- وراويني، سعد الدين، (١٣٦٧ش)، مرزبان نامه، تصحيح: محمد روشن، تهران: نشر نو.

المقالات:

- بورخس، خورخه لوئيس (١٣٩٥ش)، «ترجمه چيست؟»، ترجمه جواد صفري، مجله مترجم، ش ٥٩، صص ١١١١-١٢٠.
- رضايى باغ بيدى، حسن، (١٣٨٤ش)، «نگاهى گذرا به ترجمة متون مقدس و ترجمه‌هاى قرآن»، مجله معارف، ش١، صص ٣١-٤٧.
- فرغل، محمد، (٢٠١٥م)، «التصرف الأيديولوجي في الترجمة مصطلحاً ومفهوماً»، مجلة نقد وتنوير، العدد٣، صص ١٤٤-١٧٠.
- قطاف تمام، عبدالكريم، (د.ت)،«أمانة الترجمة بين النظرية والتطبيق، آراء ومفاهيم»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٧، ص ١-٢٠.
- مشتاق مهر، رحمان، (١٣٧٩ش)،«تلقى قدما از ترجمه ادبى»، مجله زبان و ادب، ش ١١، ص ١٠٣-١١٢.
- منافي اناري، سالار، (١٣٨٣ش)، «ترجمه ناپذيرها در شعر فارسي»، مجلهزبان و ادب، ش ١٩، ص ١٤٢-١٦١.
- نجوميان، امير على، (١٣٨٣ش)، «ترجمه از ديدگاه والتر بنيامين و ژاك دريدا»، كتاب ماه ادبيات و فلسفه، ش ٧٨، فروردين، ص ٤٢-٤٩.

المراجع الإنكليزية:

- Waisman, Sergio, **Borges and Translation: The Irreverence of the Periphery,** Lewisburg: Bicknell University Press, 2005.

Trust in the past and present views translated

D. Mohammad rahimi
Assistant Professor in university of Isfahan

Abstract

Trust is undoubtedly one of the most important issues in the field of translation studies Therefore, the present study attempts to analyze historical and current theories of translation in the East and West, to specify the position of the Trust and its importance to translators and Translation scholars.

More important of this papers is show that the concept of trust is deferens to this translation theory and that, some believe that trust in translation is For the words quoted, Some people say they trust in quotes, and some neglect of both the target text and And the original value of the source text.

Keywords: translation, translatior, trust, Source text, target text, Seizure